

الاحتفال المشهدي الكبير

في عشرة أفلام من الخيال العلمي

محمد الأحمد



اختار القيمون على مجلة (Empire) السينمائية المتخصصة واسعة الانتشار أهم عشرة أفلام خيال علمي خرجت بها السينما إلى اليوم، وهي نوعية رائجة في الفن السابع جل اهتمامها عادة إبراز المشهد الاحتفالي الكبير، والتقاط المركبات الغريبة التي تسبح في الفضاء وعلى متنها أناس يرتدون الأزياء البراقة المقبلة من أحلام المخيلة، وتوفير المؤثرات البصرية والصوتية المستندة إلى آخر ما توصلت إليه تقنيات (الكومبيوتر - غرافيك)، إلى ما هنالك من عناصر ومقومات تختلط فيها أحداث ومشاهد ومعارك مذهلة التنفيذ واختراعات مبهرة ومواقف مشوقة من الخيال واليه، تتجه بالمادة الفيلمية نحو الإثارة المختلفة عن مثيلاتها في الأفلام العادية، وولوج أبعد ما يحتويه الخيال والعقل الإبداعي من أهوال ومخاطر تشكل دعامة أساسية في الأفلام التي تتناول المستقبل من وجهات نظر متباينة في عمق ما تطرح وأهمية ما تقول.

بطولتها باستركراب في الثلاثينيات و«Destination Moon» «ومخلوق من عالم آخر» و«اليوم الذي لازالت فيه الأرض واقفة» و«غزوخطفي الجثث» و«آلة الزمن» وجميعها أعمال أفادت من خيالها المحلق في السنوات الأربعين الماضية نماذج كثيرة: «الدكتورسترانجوف»، «البرتقالة الآلية»، «٢٠٠١ أوديسة الفضاء»، «زمن وراء زمن»، «الرحلة الرائعة»، «كوكب القردة»، «سلسلة أندروميديا»، «سوليارييس»، «١٩٨٤»، «برازيل»، «The Abyss»، «الأجزاء الثلاثة من ماكس المجنون»، «مونتي بايتون: حياة برايان»، «سويلنت الأخضر»، «سلسلة أفلام ستار تريك»، «سوبرمان»، «الوطواط»، «الشرطي الآلي»، «غريب»، «حرب النجوم»، «رجل النجمة»، «ترون»، «الفاني»، «Dune»، «أيام غريبة»، «Meteor»، والكثير غيرها .

نستعرض فيما يلي الأفلام العشرة التي اختارتها مجلة (Empire) من دون ترتيب مسجلين تحفظنا في حال غياب أعمال قوية وحلول لعناوين أقل أهمية بكثير :

«Metropolis» «ميتروبوليس» :



اقتحمت أفلام الخيال العلمي بقوة أجواء هوليوود في الخمسينيات وهددت بشكل صميمي قصص الحب الرومانسية ذات المشاهد الليلية المصحوبة بموسيقى رومنطيقية أوالمواجهة بين رجلين - أحدهما طبيب والآخر شرير - التي تنتهي بها أفلام رعاة البقر: سينما الخيال العلمي عبارة عن نوع سينمائي لم تقف وراءه فقط المفاهيم والتقنيات الجديدة التي كانت قد بدأت ترى النور في هذا الميدان على المستويات الواقعية والفكرية والتقنية، ليقى العامل الأساسي والأقوى متمثلاً في التلفزيون الذي أرهق السينما في منتصف الستينيات وكان السبب في إحجام الناس عن مشاهدة الأفلام في دور العرض. لكن ما إن مضت سنوات معدودة حتى عادت السينما إلى الواجهة التي تستحق، منتصرة على ذلك الجهاز الصغير

عن طريق تكريس المشهد الاحتفالي الضخم ذي التكاليف الباهظة الذي لا يمكن للتلفزيون نتيجة لأسباب فنية وتقنية وتسويقية الإقدام على تبنيه، وهكذا تكرست السينما الاحتفالية المعروفة بسينما الفضاء أوالخيال العلمي وكانت ايذاناً ببداية عصر ذهبي جديد لفن السينما أهدى الفن السابع العالمي بعضاً من تحفه، فأعمال مثل: «ميتروبوليس» لفريتز لانغ و«Things To Come» لويليام كامرون مينز و«غزوخطفي الجثث» لدون سيغل و«٢٠٠١ أوديسة الفضاء» لستانلي كوبريك و«لقاءات حميمة من النوع الثالث» و«أي.تي» لستيفن سبيلبرغ و«آلة الزمن» لجورج بال و«سوليارييس» لأندريه تاركوفسكي لدليل قاطع على أن سينما الخيال العلمي فن حقيقي.

يُعتبر فيلم «The Mechanical» (١٨٥٩) للأخوين لومير من المحاولات الجادة الأولى التي خطت الطريق لسينما الخيال العلمي والإتيان بأفكار خلاقة غايتها إخضاع السينما للتطور العلمي الحاصل، حيث تبعتها روائع جورج ميلييه «رحلة إلى القمر» (١٩٠٢) و«التربوت» «سفينة الفضاء المدمرة» (١٩١٠)، ومن السينما السوفياتية «Aelita» (١٩٢٤) الحاكي عن ثورة الجيش الأحمر فوق كوكب بعيد، وصولاً إلى «ميتروبوليس» (١٩٢٦) رائعة فريتزلانغ التي سبقت عصرها واعتبرت نقطة تحول في تناول السينما لفن الخيال العلمي، ممهدة الطريق لكلاسيكيات لا تُنسى في مقدمتها «Things To Come» وسلسلة أفلام «فلاش غوردون» التي لعب



(تمثيل : بريجيت هيلم، ألفريد أبييل، غوستاف فرويلتس، إخراج : فريتزلانغ-١٩٢٦) : يحدد المخرج لانغ (٢٠٠٠) زمناً مستقبلياً للأحداث التي ترصد حياة عمال يعيشون في أنفاق مدينة حديثة ويخضعون لمشيئة فتاة قديسة تدعى (ماريا) لكن أحد المخترعين الأشرار يتوصل لابتداع صورة سلبية عن قديستهم لتحريضهم على الثورة، والمخرج لانغ شاعر الملحمة بمعناها العريض يرسم صورة جارحة ومتشائمة للمصير الذي نمشي إليه. في ميتربولس وخلافاً لأعمال لانغ السابقة والتي لحقت خرجت الشخصية التي كانت تستقطب التفاصيل وتحولها مجتمعة إلى مفارقات كبيرة، الشخصية ليست كما كانت في «العناكب» و«الدكتور مابوز ملك الجريمة» و«Siegfried» وسواها، انها هنا لاتقع في موقف حائر بين الدخول في أعماق المدينة المتخيلة والعزوف عنها، ولعل مشاهد العمال وهم خلف الأتيم في الأقبية المظلمة التي يلفها حيز

وهي عوامل دفعت به ليكون واحداً من أكثر الأفلام شعبية في النصف الثاني من السبعينات، وقد ألحقته الشركة المنتجة بجزئين لا يوازيانه قيمة هما: «الامبراطورية تعيد الضربة» و«عودة الجدي». في «حرب النجوم» نحن أمام مغامرات لذيدة جداً يقوم بها (لوك سكايبوكر) الذي يحاول إنقاذ البشرية في زمن ما (المستقبل البعيد أو الماضي السحيق) من شرور

مكاني ضيق تمثل ايحاء عبقرياً لمجموعة مشاعر متناقضة يحملها اناس يتوقون لبلوغ درجة ما من التطهر الروحي تمتزج بحنين لعالم أكثر شفافية واسمى قيمة .

«Star Wars» «حرب

النجوم» :

(تمثيل : هاريسون فيورد، مارك هاميل، كاري فيشر، اليك غينيس، إخراج: جورج لوكاس-١٩٧٧): أحد أشهر أفلام الخيال العلمي المدهش بتقنياته وديكوراتيه ومونتاجه الحاذق وشخصياته الكثيرة المرسومة بعناية واضحة





الشائقة ومدها بنفس إيقاعي خاص لعل أهم ما فيه ذلك المزيج المقلق للواقعية الشديدة . في «غرباء» يتلذذ كاميرون صاحب («الفاني» بجزئيه الاول والثاني،»The Abyss»، «أكاذيب حقيقية» ،

(دارث فيدار) صاحب الكوكب الصناعي الساعي لتدمير حضارات بأكملها : أراد المخرج لوكاس تصوير مغامرات (فلاش غوردون) لكنه لم يحصل على حقوق نقلها إلى الشاشة الكبيرة، فاخترع قصة (لوك) والاميرة (ليا) وفرسان يشبهون الساموراي اليابانيون يدافعون عن الحق المفقود عبر رحلة تدعمها الحيل السينمائية الجيدة إجمالاً، وإن كانت تفتقد الاتقان الذي رأيناه في «٢٠٠١: أوديسة الفضاء» لستانلي كوبريك الذي كان مهتماً بإظهار حركة الفضاء والتكنولوجيا تاركاً المتفرج يتأمل هذه الحركة على تقيض لوكاس المهتم بالمؤثرات الاستعراضية، متقللاً بسرعة من ديكور إلى آخر ومن كوكب إلى آخر مخففاً في الإرتقاء بخيال ما نشعر بأنه ناقص طوال العرض .

«Planet Of The Apes»

«كوكب القردة»:

(تمثيل : تشارلتون هستون، رودى ماكديويل، كيم هانتر. إخراج : فرانكلين ج. شافنر -١٩٦٨) فيلم فلسفي بالغ الجودة من المخرج الذي شاهدنا له «باتون»، «الفراشة»، «سيد الحرب»، «نيكولا والكسندرا» وسواها، يحكي فيه عن مجموعة رواد فضاء تتحطم مركبتهم ليجدوا انفسهم فوق كوكب قرده ينظرون إلى الانسان بمهانة واستخفاف، ولا مناص من حصول مواجهات تتبدى فيها فلسفة الصراع بين الخير والشر والحديث والقديم والاستقرار الراكب حين يرتطم بروح التجديد . «كوكب القردة» من الأفلام القليلة التي يلمع فيها الخيال من دون حدود، يصف فيه المخرج الكبير شافنر نهاية العالم، مازجاً الأسطورة بمقولات عميقة وواضحة أينا قباله إيقاع حوارى يفرض نفسه بجدية للتأمل، أما سينمائياً فهو أقرب إلى ما يمكن وصفه بقصيدة الانسان في غمرة أزماته القاهرة التي تتأتى عنها حلول بإمكانية استمراره وتآلفه مع ما يحيط به .

«Aliens» «غرباء»:

(تمثيل : سيغورني ويفر، مايكل بين، كاري هين. إخراج جيمس كاميرون -١٩٨٦): الجزء الثاني من سلسلة «غريب» التي بدأها ريدلي سكوت العام (١٩٧٩) وبلغت أربعة أفلام إلى اليوم، نتابع فيه ريبلي (ويفر) العائدة إلى الكوكب الذي التهمت وحوشه زملاءها وفي نيتها إجراء مواجهة جديدة والأخذ بالثأر، حيث تتضح أسلوبية كاميرون الناجحة في تحريك الأحداث

«تيتانيك» بتصوير أشكال العنف، والكابتن ريبلي ملاك الخلاص تقهر الوحشية بوحشية أعنف، وفي شخصيتها نبرة مرارة لفقدائها كل أوامها تجعلها أقرب ما تكون لشخصية شكسبيرية عاشت الانهيار وتعرفت خلاله إلى نكته الحرية وتقرير المصير : أفضل أفلام السلسلة وأكثرها حرارة .

«2001-A space Odyssey»

٢٠٠١ أوديسة الفضاء:

(تمثيل كيردويلا، ويليام سيلفستر، غاري لوكوود. إخراج ستانلي كوبريك - ١٩٦٨) : اعظم فيلم خيال علمي حققته السينما، مدعوم بجماليات التصوير التي تسهم في إعطاء معان كبيرة قلما استطاع فيلم آخر إيعاها، إذ ليس للحوار أول للكلام تأثير في المعنى ويتراءى لنا من خلال الهدوء المسيطر بعض من قلق الانسان الذي لا ينتهي إزاء ما يحيط به، ملاحظة كوبريك للفترات التاريخية المتقلبة التي يمر بها الانسان ليست خطابية فهو يملا فيلمه الساحر بلمسات صغيرة يخرج عبرها المتلقي بانطباع عن طبيعة العلاقة بين

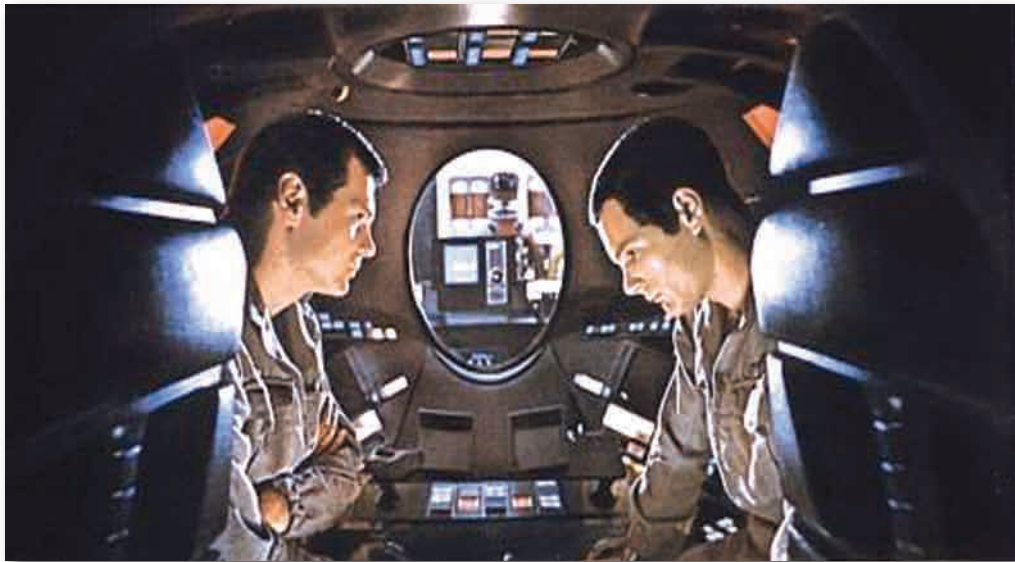
الاحتفال المشهدي الكبير

الانسان والتاريخ، بين الانسان والفضاء الذي يجول فيه وكذلك بين الانسان والآلة التي تمدّه بأمان يحتاجه مخفّقة في بلوغ تجانس روحي معه، وكل ذلك في ملحمة حنونّة أسرة تشمخ بإكتنازها تلك العلاقة الجدلية التي تربط المرء بالحضارة والطبيعة، وهذا الإيقاع التأملي البطيئ الذي لا يقع أبداً في التكرار مؤدياً لفيلم شاعري غريب وقعه مخرج لم يصل إلى هذا المستوى من النقاء بعد ذلك، وقد أتبعه المخرج بيتر هيامز بتكملة تجارية بحثة العام ١٩٨٤ حملت عنوان «٢٠١٠» وكانت كارثة بكل المقاييس .

«Forbidden Planet»

الكوكب المحرم:

(تمثيل : والتر بيدجن، آن فرانسيس، ليسلي نيلسن، إخراج: فريد ماكلود ويلكوكس-١٩٥٦):
فيلم خيال علمي جيد الصنع مستوحى من مسرحية ويليام شكسبير «The Tempest» حيث جوال الفضاء (نيلسن) ومجموعة من رفاقه يزورون كوكبا بعيدا بنى فوقه الضابط المنفي (بيدجن) امبراطوريته الخاصة مكملًا حياته بصحبة ابنته (فرانسيس) وخادمه الآلي المطيع . إخراج ويلكوكس متين ينجح في فرض إيقاع سريع لا يترك مكاناً للملل وهويتحدث عن الرغبات والحواديت التي تتشكل منها مواضيع الحياة وصراعاتها لتتبلور بنى التعايش المزعوم بين الرغبات والحقائق وتجعل بالتالي من الموضوع العام أكثر خصوصية وأعمق لغة من ناحية التوغل، ومن خلال منظور ايدولوجي



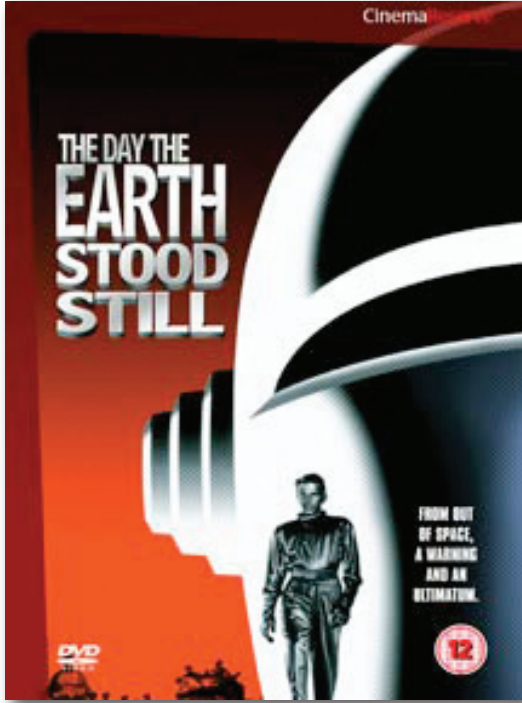
«The Terminator» «الفاني» :

(تمثيل: أرنولد تشوارزنغر، ليندا هاملتون، مايكل بين، إخراج: جيمس كاميرون - ١٩٨٤): مغامرة خيالية ممتعة عن رجل الي قادم من الفضاء لتصفية امرأة وما يرافق ذلك من تفرعات جانبية تتألق فيها المؤثرات الخاصة المتطورة التي تدعم أجواء المغامرات والمطاردات والعنف الذي لا ينتهي، وقد أدى نجاحه اللافت إلى إلحاقه بجزء ثان أكثر ابهارا اعتبر الأعلى تكلفة في تاريخ السينما وقت خروجه. «الفاني» فيلم عن العنف الذي يعتل في جوانباتنا وقد يكون أكثر أفلام الخيال العلمي تعبيرا عن وحشة النفوس وتوقها لإقامة علاقات إنسانية أكثر شفافية عبر سرد سينمائي شديد الصراحة والغرابة والسلاسة يستند إلى قدرة المخرج كاميرون المدهشة على تقديم الشخصيات والأماكن بواقعية وبساطة من دون اللجوء إلى الزخرفة المصطنعة والتكلف ببناء إدارة فنية قد تبهر العين الباحثة عن طغيان المشاهد المكتظة بالديكورات والألوان: مؤدى القول أننا أمام فيلم خيال علمي فكري يغوص بمشاهده المقتضبة في خصائص الإنسان وتطلعاته مبرزا أهمية البقاء وهويتاى خلف ذلك الصراع المستديم بين قوى الخير والشر.



محدد، إلى صلب العقلية الأميركية وأزماتها المحتدمة انطلاقاً من الخاص وصولاً إلى العام .



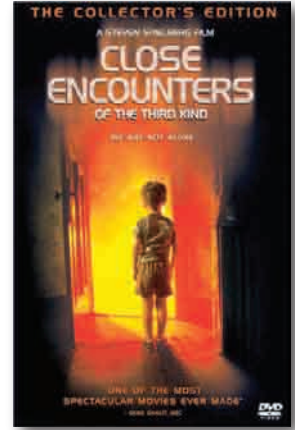


أندروميديا»، «ستارترك - الفيلم»، «أودري روز» وسواها، حاكيا هنا عن كائن فضائي (ريني) يُرسل في مهمة عاجلة إلى واشنطن مع (روبوت) يوازره لتحذير سكان الأرض من الانجراف في حروب قد تؤدي إلى أخطار نووية محتملة، وما يصحب رحلته هذه من أحاسيس وومضات إنسانية جعلت هذا الفيلم حياً إلى يومنا هذا. من النادر أن نجد في تلك النوعية من الأفلام هذا التصوير الذكي واللمح لبنية المجتمع الأميركي الخارج للتومن اتون الحرب العالمية الثانية لياخذ الفيلم بالتالي على عاتقه مهمة سياسية تتوضح معالمها من خلال الرموز دون أن يغفل المخرج الكبير وايز ايجاد منحى مواز تسير عليه حكايته التشويقية والمؤثرة إلى حد بعيد.



Close Encounters of «The Third Kind» «لقاءات حميمة من النوع الثالث»:

(تمثيل: ريتشارد دريفوس، فرانسوا تروفو، تيري غار، ميليندا ديبلون. إخراج: ستيفن سبيلبرغ - ١٩٧٧). أرق وأشرف



فيلم خيال علمي في تاريخ السينما كما وصفه المخرج الراحل فيديريكو فيليني، يقص من خلال العبقرى سبيلبرغ الاتصال بين بني البشر والكائنات الغريبة المستقرة في الكواكب البعيدة. يأتي هذا الفيلم كأنما ليجيب عن أسئلة بات إنسان هذا العصر يطرحها على نفسه: ماذا وراء أرضنا؟ وأي شيء ينتظر الإنسان من عوالم مأهولة بالسكان حسب فتاعة تراقق سبيلبرغ منذ طفولته: هذا السؤال يُطرح في وقت تتفاقم فيه مشاكل أهل الأرض بين بعضهم البعض، بحيث بات من لا علاقة لهم بأحداثها الدرامية يتربقون شبه تدخل من عالم آخر يعج بمخلوقات أخرى، هم على حد تعبيره يستوطنون المخيلة والقلب. «لقاءات حميمة من النوع الثالث» حكاية محبة ومشاعر على درجة عالية من الرهافة والصدق والاهتمام التقني واستخدام الإضاءة الطبيعية بغية التعامل اللوني مع الطبيعة، وإخراج سبيلبرغ متامل وشاعري يبلغ ذروته في مشهد النهاية وهو يسجل اللقاء المؤثر بين سكان الفضاء وأهل الأرض مضيفاً عليه هالة من قداسة ونور.

The Day The Earth Stood «Still»

«اليوم الذي ما زالت فيه الأرض واقفة»:

(تمثيل: مايكل ريني، باتريشيا نيل، هيوغ مارلو. إخراج: روبرت وايز - ١٩٥١): عمل كلاسيكي ينتمي لسينما الخيال العلمي الراقية من المخرج الذي قدم «قصة الحي الغريب»، «صوت الموسيقى» «هيلين طروادة»، «أريد أن أعيش»، «أحدهم في الأعلى يجنني»، «حصى الرمال»، «نجمة»، «سلسلة

داريل هانا. إخراج: ريدلي سكوت -
 (١٩٨٢): في مدينة لوس أنجلوس وفي العام
 (٢٠١٩) يندفع شرطي محترف مشهود
 له بالكفاءة لملاحقة مجموعة من القتلة
 الآليين الذين اختطفوا سفينة فضائية
 وأبوا إلى الأرض لمزيد من المشاكل، وكل
 هذا تحت الإدارة الحازمة للمخرج سكوت
 الذي ينفذ المشاهد بإتقان متوصلاً إلى
 مغامرة خرافية لذيدة عن العنف والهلع
 والتشويق الذي لا ينتهي. في «عداء
 الشفرة» يقبض ريدلي سكوت بإحكام
 على أدوات تعبيره دافعاً شخصياته
 حتى نهاية قدرها لمواجهة هلاك محتمل
 هوجز لا يتجزأ من الجنون الكامن
 فينا. شخصيات يرسمها سكوت في
 خطوط عريضة لا تخلو من الفانتازيا،
 موفراً استعراضاً يلمع بتشويق استثنائي
 يجعلنا مشدودين، وحتى عندما تفقد
 الحركة شيئاً من إيقاعها النشيط لا يهبط الفيلم
 نحوعتبات الملل.



«Blade Runner» «عداء الشفرة»:
 (تمثيل: هاريسون فورد، راتغر هاور، شين يونغ،

